ترجمات | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 15 يونيو 2021

2014-2015: نحو عالم مفتت
آفاق زمن الفوضى

جان فرانسوا فيورينا
ترجمة: محمد الجرطي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

2014-2015؛ نحو عالم مفتت:
آفاق زمن الفوضى[1]

جان فرانسوا فيورينا
ترجمة: **د. محمد الجرطي**

1- CLES Comprendre Les Enjeux Stratégiques ;Note hebdomadaire d'analyse géopolitique de l'ESC Gr - noble. Décembre 11-2014, 2014 – 2015: vers « un monde en miettes » ?

«من كان بمقدوره أن يتنبأ في عام 1850، 1900، أو في عام 1950 أن القرية العالمية في القرن الحادي والعشرين ستشهد الكثير من التناحر الدموي بين الدول، وأن العديد من دول الجوار ستتكالب للتدخل في شؤون الآخرين؟». هذا التساؤل الساذج والمزيف لعالم الاجتماع ريجيس دوبريه خلال المؤتمر الخامس للبحوث الاستراتيجية الذي عُقد في باريس في نونبر 2014، حاضر بقوة في مجمل التأملات الفكرية في الوقت الراهن. بعد ذلك بقليل في شهر ديسمبر 2014، عقدت مجلة الدفاع الوطني بشراكة مع نادي التقدم ندوة بعنوان «سنة 2014: هل عالمنا على حافة الهاوية؟».

أما بالنسبة إلى الباحث سيرج سور مدير مركز ثيوسيدرز، فقدم خلاصة لمجموعة من الأبحاث عن السنوات الأخيرة في مجلة «قضايا دولية» بعنوان بليغ: «عالم قيد التفتيت».

ما الذي يكشف عنه هذا التقارب في التحليلات المتشائمة بشكل واضح، بل المنذرة بالخطر والمولدة للقلق بشكل قوي؟ هل تكشف هذه التحليلات الجيواستراتيجية عن تعقيد ومخاطر متزايدة تفتت الأوطان في هذا العالم؟ أم عن الصعوبة التي تواجهها مجتمعاتنا المتقدمة وما بعد حداثية في فهم أسباب هذا الصراع، هذه القوى العميقة التي، أكثر من أي وقت مضى، تَعبُر عالمنا وتصيبه بالفوضى والاضطراب؟

إن الفترة الحالية، المفصلية بين سنتي 2014 – 2015 تفسح المجال لتقديم نتائج وتوقعات للأشهر المقبلة. هذا على وجه الخصوص ما تقدمه طبعة 2015 من مسودة «الأطلس الجيوسياسي العالمي»، حيث يشير أليكس بوتزمان أن الأحداث الدولية مثقلة بالنزاعات ومترعة بالصراعات بجميع أنواعها منذ سنة 2013. «في القارة الإفريقية، شهدت الأشهر الأخيرة ظهور حرب أهلية جديدة في جمهورية إفريقيا الوسطى (الحرب الثالثة في غضون 10 سنوات)، ترسيخ تنظيم القاعدة في دول المغرب العربي ومنطقة الساحل والعودة القوية للأعمال الإرهابية لطائفة بوكو حرام في نيجيريا والكاميرون. في الشرق الأدنى والأوسط، يبدو السلام مرة أخرى معرضا للخطر بسبب اشتداد التوترات بين السّنة والشيعة وامتداد الجهاد من سوريا إلى العراق واندلاع عمليات عسكرية إسرائيلية واسعة النطاق في غزة.

في آسيا والمحيط الهادئ، التي نقيس الآن حجم أهميتها في رقعة الشطرنج الدولية «ازدياد كبير في اشتباكات على الحدود في بحر الصين الذي يضع في الأفق الوزن الجيواستراتيجي الساحق على نحو متزايد للصين في مواجهة جيرانها اليابان، كوريا الجنوبية، الفيتنام في سياق تجدد نشاط النزعات القومية.

أما بالنسبة إلى أوروبا، بالإضافة إلى الصعوبات الاقتصادية، وبشكل متزايد، الاجتماعية والسياسية (والمؤسسية أيضاً، فيما يتعلق بالاتحاد الأوروبي)، وجدت أوروبا نفسها في مواجهة حرب أهلية، في أوكرانيا، على خلفية تدهور العلاقة بين روسيا والغرب.

«التوترات المتصاعدة» التي، في الوقت الراهن، تخدم أساساً الولايات المتحدة، يسعى البيت الأبيض منذ 25 سنة عن إبراز وجود خصم مهدد بما يكفي ليجسد بطريقة جديرة بالتصديق، «إمبراطورية الشر» الجديدة القادرة على إعادة تشغيل المجمع العسكري - الصناعي الأمريكي وإحياء التوجه الأمريكي الساعي للهيمنة على العالم. وهذا في الوقت الذي يتساءل فيه الأمريكيون عن هويتهم ومكانتهم ودورهم في عالم أصبح متعدد الأقطاب.

«محن القوة» و«دول في حركة مستمرة»

إن مسألة الصراع على السيادة والنفوذ أصبحت السمة المميزة لهذ العالم الذي يعيش حالة التفتت كما يصفه الباحث سيرج سور في عمله «الوثائق الفرنسية». يرى هذا الباحث أن ما يؤثر أساساً في العلاقات الدولية اليوم، هو «شبح الحكامة»؛ لأن «العقد الضائع» في نهاية القرن العشرين لم يُستغل في «إعادة تنظيم شامل للنظام العالمي» الذي صار ممكناً بفعل «الهزة الكبرى» عقب سقوط الكتلة السوفياتية. الشيء الذي أدى إلى حالة تتطلب الآن «مواجهة التحديات الجديدة في حدتها وعموميتها»، على الرغم من أن معظم المؤسسات التي يعتمد عليها «المجتمع الدولي» أصبحت تحت سيطرة ومراقبة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

في صدارة هذه التحديات، صعود القوى الناشئة، بطبيعة الحال، تعيد النظر في التوازنات السابقة، وترغم الولايات المتحدة أن تأخذ بعين الاعتبار ظهور شركاء جدد (الصين، الهند، البرازيل). وأيضاً انتشار «الدول الناشئة» و«الدول المنشقة» (الدول المارقة بتعبير الولايات المتحدة)، «فئتين من الدول المترابطة لدرجة أن دولة منشقة إذا اصطدمت بردود فعل قسرية، فمن المرجح أن تصبح دولة فاشلة في المستقبل - أفغانستان والعراق هم أمثلة حديثة على هذا النوع من الدول».

المنافسة التقليدية بين الدول أو مجموعات من الدول تبقى العنصر الرئيس والمحرك للعلاقات الدولية، حتى حين تفرض بعض الجهات الفاعلة غير الحكومية نفسها (الشركات عبر الوطنية، الشبكات الإرهابية والإجرامية، المنظمات غير الحكومية، والخبراء...) أو حين تظهر قضايا دولية ذات طابع عالمي (التنمية المستدامة، تغير المناخ، النظام المالي، المبادلات الاقتصادية والمشاكل النقدية، الهجرة، ومخاطر الأوبئة...)، سواء كانت دول صغرى أو كبرى، فإن هذه الدول هي «دوماً في حالة مناورات لإنجاح استراتيجياتها»، سواء تعلق الأمر بالصين أو الهند، وبطبيعة الحال، إسرائيل أيضاً، وإيران وروسيا واليابان، حيث لا يعرف «طموح هذه الدول الفتور أو الضعف».

أيضاً هذه حالة «المملكة المتحدة» التي تبدو أنها مسيطرة على خياراتها بشكل أفضل من عدد كبير من دول «الجوار» الذين اختاروا «أوروبا التي تبدو متحجرة وغير مسيطرة على توسعها إلا بصعوبة بالغة».

تعكس مشاكل الاتحاد الأوروبي من جهة، رسوخ المصالح الدولية والصعوبات الواجب تصورها في تأسيس هيئة سياسية خالية من أي وعي جماعي يحمله الوعي الشعبي، وبالتالي الموافقة على الديمقراطية وغاياتها.

أزمة «القيم الكونية»

بالإضافة إلى «مقاومة المصالح الدولية» يسلط سيرج سور الضوء على استمرارية وديناميكية «المعتقدات الشاذة» التي ترفض عقيدة المجتمع الدولي. هنا يتجلى شكل من أشكال المعارضة المتعددة وعلى رأسها العامل الديني الذي يصطدم بقيم الغرب.

نشهد عودة العامل الديني إلى الساحة الجيوسياسية من قبل مختلف الحركات الجهادية التي تتواجد من منطقة الساحل إلى نهر الفرات، وأيضاً في نيجيريا كما هو الشأن في وسط وجنوب آسيا. لقد تم الإعلان عن إنشاء الفرع الهندي لتنظيم القاعدة يوم 4 سبتمبر 2014 من طرف أيمن الظواهري بهدف إطلاق الجهاد في جميع أنحاء الهند، وأيضاً في بورما وبنغلاديش.

يتم تسليط الضوء الإعلامي على هذا التهديد الغامض، والذي لا يفهم إلا بإدراجه في سياق أوسع. سياق أزمة «الغرب» وتأكيد الهوية الدينية التي تخص جميع الثقافات من الهندوسية إلى المسيحية.

ولذلك، إذا كان التطلع إلى حكامة عالمية والاستجابة إلى مواجهة المشاكل المشتركة التي تطورت وتهيمن على جدول الأعمال الدولية مسألة ضرورية، فإن الواقع سيكون واقع «شبح الحكامة» حكامة جوفاء بسبب الرغبة في الهيمنة التي تؤدي إلى الفشل.

خصوصاً وأن هذا الطموح إلى حكامة عالمية يتم إحباطه بسبب عودة نزعات وتيارات مثل القومية، العرقية، التطرف الديني، الطائفية، وكل القيم ذات الطابع العاطفي وليس العقلاني، المحلية وليست الكونية، القيم التي تتغذى من مشاعر الإحباط المحلية وليس التطلع إلى العالمية.

هناك نقطة أساسية يتطرق إليها سيرج سور من وجهة نظر القيم والعقلانية الغربية التي تتعارض مع قيم الإسلام، وهذا ما يفسر قلقه العميق. لكن سيرج سور لا يدرك جيداً الغيرية العميقة للحركات المباشرة في عالمنا اليوم.

تحول عميق في النموذج

إن العوامل الدينية والهوياتية وبشكل أوسع الثقافية، غالباً ما تكون ذرائع للصراع. وهذا ما يفسر التنديد الشديد بالتطرف والتعصب وبطبيعة الحال الإرهاب من طرف الأمين العام للدفاع والأمن القومي، لويس غوتييه في المؤتمر الوطني الأخير للبحوث الاستراتيجية.

لكن بلا شك، إن عالم الاجتماع ريجيس دوبريه هو الذي، كما في كثير من الأحيان، يتناول بشكل أحسن هذه المسألة. يشدد ريجيس دوبريه على أن «العولمة التقنية - الاقتصادية هي التي تؤدي إلى بلقنة الهوية» وبالتالي إن «التحديث متقعر»؛ بمعنى أن التطور يرافقه نزوع يتجلى في عودة القيم البالية والسلوكيات القديمة.

يلاحظ ريجيس دوبريه أيضاً، أن الحركات الدينية هي الأقل ملاءمة مع «الحداثة الغربية» التي تتطلع إلى الأحسن وتجذب الكثير من الأوفياء. في الواقع، يبدو أن هذا الكوكب أقل عزماً وتصميماً على إنصاف أنبياء «نهاية التاريخ» والانتصار العالمي لـ «ديمقراطية السوق».

لكن على العكس من هذه النبوءات، يتميز التاريخ بعودة مجلجلة. ومع عودة التاريخ، تتجلى الحقيقة ويتجلى الطابع المأسوي، في أشكاله السياسية (الدول) والثقافية (الأديان والهويات). إن التأسف على هذا الوضع لا يكفي لمعالجة الواقع. وبالتالي، فإن العالم سيكون إلى حد كبير في أزمة وفي «حالة من التفتت» على حد تعبير سيرج سور.

هذه وجهة نظرنا على العالم – لأننا نستمر في التشبث بمجموعة من القيم هي نفسها في أزمة بسبب تقاطعها المتنامي مع الواقع – أو في أي حال مع أنظمة تمثيل أغلبية الشعوب وثقافات العالم. للبرهنة على ذكاء ثقافي، يجب قبول قيم الغيرية بنظرة الآخر. هذا هو معنى النهج الجيوسياسي الذي نقترحه لمُنظّري اليوم وغداً.

سيكون هذا النهج كفيلا بتجنب لعنة كلود ليفي ستروس في كتابه «مدارات حزينة» (1955)، «إن ما تعلمته من الأسفار هو ما رأيته من قذارة رميناها في وجه البشرية». أليس التواضع هو حالة من الفهم الصحيح للعالم؟ ألا يؤدي هذا الفهم إلى مزيد من راحة البال؟

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021